

نظرية التقويم الذاتي عند الإمام النورسي

رضوان جمال يوسف الأطرش، محمد زياد الحق

المستخلص

* قسم دراسات القرآن والسنة – كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية – الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، أستاذ مساعد في جامعة علوم القرآن (IIQ) جاكرتا – إندونيسيا.

* Department of Quran and Sunnah Studies - Abdul Hamid Abu Sulaiman College of Revelation Knowledge and Human Sciences - International Islamic University Malaysia, Assistant Professor at the University of Qur'anic Sciences (IIQ), Jakarta - Indonesia

E-mail:

taallaam@gmail.com

Orcid:

<https://orcid.org/0000-0003-4603-4997>

Received: April 25, 2023

Accepted: July 20, 2023

Published: July 31, 2023

Citation:

Elatrash , Radwan, *The self-evaluation theory of Imam Nursi*, Istanbul, The Journal of Risale-i Nur Studies 6:2 (2023), 86-100

تعتبر نظرية التقويم الذاتي عند الإمام النورسي من أهم النظريات التربوية التي تركز على دور الفرد في تقييم ذاته وتحديد نقاط قوته وضعفه. ويرى الإمام النورسي أن التقويم الذاتي يساعد الفرد على تحقيق الاكتفاء الذاتي وتحسين أدائه العام. ومن أهم أركان نظرية التقويم الذاتي عند الإمام العبقري سعيد النورسي التفكير الإيجابي والتحفيز الذاتي والتغلب على الصعوبات وتحديد الأهداف وتقييم النتائج. من جهة أخرى، يرى الإمام النورسي أن الأفراد الذين يستخدمون التقويم الذاتي يتمتعون بالمرونة النفسية والقدرة على التأقلم مع المتغيرات المحيطة بهم. والتقويم الذاتي عند الإمام النورسي أداة مهمة للتطوير الذاتي وتحسين الأداء في مجالات التعليم والعمل والتطوير النفسي. وطبيعة البحث تقتضي أن يتم استخدام المنهج الاستقرائي من تتبع جزئيات البحث من بطون كتب الإمام النورسي ورسائل النور، والوصول إلى حكم كلي في مسألة التقويم، كذلك لا بد من استخدام المنهج التحليلي لمناقشة أفكار الإمام النورسي والوصول إلى قناعات فكرية تبناها العلامة النورسي لتفيد منها الأجيال. والباحثان وصلا إلى ثلة من النتائج منها: إن تطبيق نظرية التقويم الذاتي عند الإمام النورسي أداة فعالة في تحسين الأداء الشخصي وتحقيق الاكتفاء الذاتي، وذلك بتحديد نقاط القوة والضعف لدى الفرد والتركيز على تحسين الجوانب الإيجابية. كما أن استخدام نظرية التقويم الذاتي عند الإمام النورسي في مجالات متعددة مثل التعليم والعمل والتطوير الشخصي، وذلك لتحسين الأداء العام وزيادة المرونة النفسية والتأقلم مع المتغيرات المحيطة.

الكلمات المفتاحية: نظرية، التقويم الذاتي، الإمام النورسي.

The self-evaluation theory of Imam Nursi

Abstract

The theory of self-evaluation by Professor Nursi is considered one of the most important educational theories that focuses on the individual's role in assessing themselves and identifying their strengths and weaknesses. Professor Nursi believes that self-evaluation helps individuals achieve self-sufficiency and improve their overall performance. This theory includes concepts such as positive thinking, self-motivation, overcoming difficulties, setting goals, and evaluating results. Professor Nursi believes that individuals who use self-evaluation have psychological flexibility and the ability to adapt to changes in their environment. In conclusion, the theory of self-evaluation by Professor Nursi is an important tool for self-improvement and personal development, and it is used in many fields such as education, work, and personal development. The research requires the use of inductive methods to follow the research details from Professor Nursi's books and Nur letters to arrive at a general judgment on the issue of evaluation. Also, the analytical method must be used to discuss the ideas of Professor Nursi and arrive at intellectual convictions adopted by Nursi to benefit future generations. The researchers arrived at a number of results, including that the application of the theory of self-evaluation by Professor Nursi is an effective tool in improving personal performance and achieving self-sufficiency by identifying strengths and weaknesses and focusing on improving positive aspects. Using Professor Nursi's theory of self-evaluation in various fields such as education, work, and personal development can improve overall performance and increase psychological flexibility and adaptability to environmental changes."

Keywords: Theory, Self-Evaluation, Imam Nursi.

مقدمة:

يتناول هذا البحث بالدراسة والتمحيص مبدأ التقويم الذاتي في القرآن الكريم، باعتبار التقويم أداة فعالة في الفكر التربوي، ومواكبة للعملية التعليمية في كل مراحلها، فالتقويم الذاتي يقوم على استقراء لبيانات صادقة عن الذات، كاشفاً باختصار عن مواطن الضعف والقوة، وخير ما يزودنا بهذه البيانات عن النفس الإنسانية هو القرآن الكريم، الذي لخص لنا منهج التقويم الذاتي بجملة مفادها: أن النفس ملهمة بمعرفة الفجور والتقوى، فمن زكاهها وقومها أفلح، ومن أرخى لها العنان وجعلها تتبع الهوى والشهوات خاب وخسر. قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 7-10]. فالإنسان في نظر الإمام النورسي: هو مجرد طفل صغير ضعيف محبوب، ولكنه يحمل في ضعفه قوة كبيرة، ويحمل في عجزه قدرة عظيمة، لأنه بقوة ذلك الضعف وقدرة ذلك العجز سُخِّرَتْ له هذه الموجودات وانقادت له. لهذا أمرنا سبحانه باستثمار منهج التقويم الذاتي الإيجابي، لفهم الإنسان لذاته ومعرفة جوانب القوة والنقص فيها، وحذرنا في نفس الوقت من أن ينحرف ذلك التقويم إلى تقويم سلبى للذات، ينتهي بجلدها وهدمها واحتقارها، حتى لا يدخل في صراع مرير معها لدرجة تتأكل فيها الحياة، فلا يبالي صاحبها بعدها باقتراف أسوأ مما اقتترفه من خطايا سابقة.

ومن المعلوم في عالم التربية والتعليم أن التقويم يقوم على اختبارات يقوم بها المعلم ليكشف عن أداء الطلاب طوال السنة أو الفصل الدراسي، وليقدم بعدها معلومات صادقة لأولياء أمور الطلاب عن أداء طلابهم. استخدم الصينيون التقويم لأول مرة قبل 200 عام قبل الميلاد لتحديد مستوى كفاءة المتقدمين للوظائف الخدمية، كما استخدم سقراط التقويم اللفظي كجزء من عناصر قياس نتائج التعلم ومقداره لأغراض تعليمية، لِيُعَدَّان من أوائل المستخدمين للتقويم في التاريخ. (محمود، 2004:15)

وهنا نكشف عن حقيقة مفادها أن من عرف المنهج القرآني قَوِّم ذاته بشكل إيجابي وقت التعثر والإخفاق في إنجاز عمل ما، ولهذا لا بد من العلم بأن الله ﷻ قد زودنا بالعقل والحريَّة والاختيار، فنحن نختار اختياراتنا بشكل حر بعد أن نزنها بميزان العقل أو المصلحة، أو غير ذلك، وقد حملنا سبحانه مسؤولية اختياراتنا الحياتية.

هذا المخلوق العجيب، خلقه الله ببيديه من طين، ثم إنه زاد من تكميمه فنفس فيه من روحه، وقد جمعت آية السجدة بين تلك المقومات والمكونات المتضادة، فقال سبحانه: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: 7-9] فاجتمعت فيه قوة عقلية ملكية، وقوة غضبية سبعية، وقوة شهوية بهيمية، وقوة وهمية شيطانية. يقول الإمام النورسي رحمه الله: إن الإنسان هو نسخة جامعة لما في الوجود من خواص، وهو في نفس الوقت مرآة عاكسة لتجليات الأسماء الإلهية الحسنى. وهذه المرآة لها ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: نحن نعلم يقيناً أن الظلام سبب لرؤية النور، فكلمنا اشتد الظلام في الليل فإنه يظهر النور بشكل جلي وواضح، ولزيد من التوضيح يقول رحمه الله: إن الإنسان رمز للظلام، والله عز وجل رمز للنور التام، من جهة أخرى، فإن الإنسان يعرّف ويظهر بضعفه وعجزه وفقره وحاجاته ونقصه وقصوره قدرة العليم العلام وقوة ذي الجلال والإكرام العظيمة، وغناه المطلق ورحمته الواسعة. فالإنسان يمثل مرآة تعكس التجليات العظمية لصفات الجليل الإلهية. فهو بضعفه الشديد لا يجد له لوجدانه الملهوف إلا الله سبحانه، فيتضرع إليه بالدعاء

والتوسل ليستمد منه حاجاته التي لا تتناهى. ووجدان الإنسان فيه نافذتين صغيرتين: الأولى: نافذة الاستناد، والنافذة الثانية: نافذة الاستمداد. (النورسي، 2013: 320)

على الرغم من أن الخالق العظيم وصف الإنسان بأنه ظلم جهول لكن هذا لا يتعارض مع تكريمه الذي أدى إلا أنه جعل منه خليفة أسجد له الملائكة بعد أن زوده بالآلات العلم ونفخ فيه من روحه، وزوده بالآلات السمع والبصر والفضول، وأكرمه بكل ألوان القوى الروحية والعقلية والنفسية و... إلخ. وفي نفس الوقت جعله مسؤولاً عن كيفية استخدامه لتلك القوى، وذلك حينما أسند عمله إليه، سواء كان العمل حسناً أو سيئاً، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46]، ولو كان الإنسان غير مختار في قراراته وإرادته وأعماله لما تم الإسناد إليه، وقد امتدح الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقرع بالذم من عمل سيئاً. وقد وردت كلمة النفس بمشتقاتها المختلفة في القرآن الكريم مائتين وخمسة وتسعين مرة، ما بين المعرف وغير المعرف والمفرد والجمع. قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: 7].

وحكم على صلاحية العمل من خلال النوايا الصادقة وصوابية المنهج المستخدم، لأن الهدف من كل عمل أن يكون العمل مفيداً لنفسه وللأمة، فإن كان كذلك ارتفعت مكانة صاحب العمل عند الله وعند خلقه. والعكس كذلك، إن كانت أعماله سيئة ضارة بنفسه وبالمجتمع انحطت مكانته عند الله عزوجل. الأمر الذي تناوله القرآن في عدد كبير من الآيات، نختار منها: قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 35-36]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: 31]. يقول الإمام النورسي: فيا من يعد نفسه إنساناً حقاً، اقرأ نفسك بنفسك، وإن لم تفعل فلربما تهبط من مرتبة الإنسانية إلى مرتبة الأنعام. (النورسي، 2013: 320)

يقول أبو حامد الغزالي: يجب على الإنسان أن يراقب شهواته بشكل خاص، ولا سيما الشهوة المتعلقة بحب المال، وإذا كان الإفراط هو الغالب في تلك الشهوات، فعليه بالسعي لتحقيق معيار الاعتدال والتوازن. ويُعدُّ العقل والشرع هما المعايير المثلى للحصول على التوازن والاعتدال في هذا الصدد. فالإنسان يجب أن يتحلى بالحكمة والتقوى في التعامل مع شهواته، وأن يُحْكَمَ عليها بواسطة معايير أخلاقية ودينية تُضَبِّطُ مسار حياته نحو الإيجابية والتناغم مع المجتمع. (الغزالي، 1975: 89) وليس لي في هذا المقام إلا أن اتفق مع الإمام في أن السعي إلى معيار الاعتدال والاتزان من خلال العقل والشرع هو عين التقويم الذاتي. فكيف يراقب الإنسان شهوته بجميع أصنافها، شهوة المال وشهوة الجاه وشهوة النساء، و... إلخ إن لم يتسلح بسلاح العقل والشرع.

يقول الإمام النورسي: وهو طريقة وهبية يتفضل بها الله على عباده فيساعدهم على تقويم ذواتهم، وذلك من خلال انكشاف أقربيته سبحانه من العبد، وهي عبارة عن انجذاب إلهي وجذب رحماني، ومحبوبة خالصة من الله للعبد، وهذا الطريق قصير، لكنه ثابت ورضين. وهو في نفس الوقت رفيع وسام جداً وخالص ظاهر لا ظل فيه ولا كدر. أما الصورة الثانية: فهي صورة كسبية لها منهج شاق يجب اتباعه، وهذا المنهج يتخلص في طريقتين: الأولى: أن ينسلخ العبد من وقائع الزمن وجريانه بقوة قدسية، الأمر الذي يساعده على العروج إلى ما فوق الزمان، حتى يرى الأُمس وكأنه اليوم. وأما الطريق الثاني: فهو أن يقطع صاحبه مسافة سنة كاملة حتى يلتقي الأُمس من جديد، ومع ذلك لا يستطيع مسك زمامه، لأنه للأسف يدعه ويمضي غير مبال. وهذا الطريق الثاني يشبه الأمر الذي يجعل صاحبه ينفذ بقوة جبارة من الظاهر إلى الحقيقة، وذلك من خلال صورتين أو وسيلتين:

الأولى: أن يجذب السالك إلى الحقيقة بشكل مباشر، بشكل وجداني من غير وساطة الدخول إلى البرزخ الذي هو بين الظاهر والحقيقة.

والثانية: أن يقطع السائر إلى الحقيقة مراتب كثيرة بالسير والسلوك، ثم ضرب مثالاً لتوضيح المسألة بأهل الولاية، فأهل الولاية رغم أنهم يوفقون إلى فناء النفس الأمانة بالسوء وينبذونها لدرجة القتل، فإنهم برغم ذلك لا يمكنهم الوصول إلى مرتبة الصحابة الكرام، لأن نفوس الصحابة مزكاة مطهرة، لأنهم يمثلون اللبنة الأولى في تأسيس صرح الإسلام، وهو الصف الأول في نشر أنوار القرآن، ولهم قسط وافر من جميع حسنات الأمة، حسب قاعدة: السبب كالفاعل (النورسي، 2018: 205)

إشكالية البحث:

تعد إشكالية تقويم الذات للذات من خلال القرآن نفسه مسألة صعبة، حيث يتطلب من الإنسان معرفة نفسه بشكل جيد وفهم الخطاب القرآني المتنوع المتعلق بتقويم الذات. والعلامة المفكر الإصلاحي الإمام سعيد النورسي يرى أن هناك قوى متصارعة في داخل الإنسان، منها روحية أو نفسية أو بدنية أو عقلية، ويصعب على الإنسان تحقيق التوازن بين هذه القوى المتنافرة. فالنفس تعتاد على القديم وتخاف من الجديد المجهول، وتحب الثبات وتخشى الفشل، وهذا يزيد من صعوبة تقويم الذات. والإمام النورسي اهتم كثيراً بموضوع تقويم الذات وتطويرها، حيث إنه يرى أن العبادة والتقوى هي الوسائل الأساسية التي تحقق ذلك. وهناك عوائق نفسية واجتماعية تواجه الإنسان في سعيه لتحسين ذاته. فالإنسان يعاني من عدم الاستقرار النفسي وعدم الثبات في القرارات، وقد يواجه صعوبة في الالتزام بالعادات الصحية والتقوى الدينية والمعنوية. كما أن هناك ضغوطاً اجتماعية وثقافية مجتمعية قد تؤثر سلباً على مسيرة تحسين الأداء الإنساني وتقويم الذات. وعلى الإنسان أن يبذل جهداً كبيراً في تطوير نفسه وتحسين أدائه الإنساني، والالتزام بالعادات الصحية والتقوى الدينية والمعنوية. من جهة أخرى، فإن تنوع خطابات القرآن المتعلقة بتقويم الذات بين المقابلات والتضادات والتطابقات، ففي بعض الأحيان يتحدث القرآن عن الخوف والرجاء، وفي أحيان أخرى يذكر المغفرة والعقاب، مما يجعل تقويم الذات أكثر صعوبة. ومن أجل تحقيق التوازن بين القوى المتصارعة وتحقيق تقويم الذات، يجب على الإنسان الاجتهاد والعمل الجاد، يقول الإمام النورسي رحمه الله: "إن العبادة سبب لسعادة الدارين، وسبب لتنظيم المعاش والمعاد، وسبب للكمال الشخصي والنوعي". يجب أن يسعى الإنسان لتحقيق التوازن والاستقامة، ويتطلب ذلك مزيداً من الجهود والعمل الشاق.

لهذا لا بد من التعامل مع هذه الإشكالية بروية وحكمة ومن خلال النظر إلى عواقب تلك الغرائز، يقول الغزالي رحمه الله متحدثاً عن هذه الغرائز بهدف نشر الوعي في كيفية التعامل معها: "لا تكمل غريزة العقل إلا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان إلى إغواء الإنسان إذ كمال العقل إنما يكون عند مقاربة الأربعين وأصله إنما يتم عند مراعاة البلوغ ومبادئه تظهر بعد سبع سنين، والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة، فإذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة إذ لا يثبت أحدهما للآخر لأنهما ضدان متطاردان، كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة". (الغزالي، 1975: 9) ينتهي الكثير من اختيارات الإنسان بالأخطاء والعثرات التي تحتاج دائماً لتقويم. ومن الممكن تحقيق التقويم الناجح إذا اقتنع الإنسان من داخل نفسه بضروره. إذا قام بذلك، فإنه يتناغم مع فطرته الإنسانية، ويكتشف جوانب قوته ونقاط ضعفه ومواهبه وقدراته. لكن التقويم الذاتي الناجح لا يمكن أن يتم بالإكراه لأنه لن يؤدي إلى النتائج المرجوة. ولذلك، فإن هذا العمل يعد

واحدًا من الأهداف النبيلة والسامية لعملية التقويم الذاتي، حيث يساعد صاحبه على النهوض بعد السقوط وتجاوز التعثرات ليعيد بناء مشاريعه الحياتية. فالحياة لا تتوقف عند تعثر واحد، وهذا ما يدعونا القرآن دائمًا إلى تربيته.

يتعين على الإنسان أن يحاسب نفسه على الأعمال التي يقوم بها، حيث إنه المخلوق الوحيد الذي لديه القدرة الكاملة على تحديد تصرفاته والتأثير على نتائجها. يتمثل دور الإنسان كخليفة لله في إعمار الأرض والعبادة، ويجب عليه القيام بذلك بشكل مسؤول باستخدام كل قواه المختلفة. تتضمن هذه المسؤولية تقويم أداء الذات، وهو الأساس الذي يمكن للإنسان من خلاله تحمل المسؤولية عن أفعاله وتحديد عواقبها، وهنا يأتي قوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة:14-15]. فقد أشار الله في القرآن الكريم إلى أن الإنسان هو الذي يشهد على نفسه، ولا يمكنه إلقاء المسؤولية على الآخرين بالرغم من حسن بيانه وفصاحته، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور:24]. (بن سهل، 1988:252)

تحديد المصطلحات وتحريرها:

مفهوم التقويم الذاتي:

مفهوم التقويم لغة: قوم الشيء قدره، والتقويم تصبير الشئ على ما ينبغي أن يكون في التأليف والتعديل، يُقال: قَوْمْتُهُ تَقْوِيمًا فَاسْتَقَامَ وَتَقَوَّمَ (الرازي، 1420:212) فالتقويم يتضمن التحسين والترقي والتصحيح والتجديد والتصويب والتطوير والتصحيح والعلاج والإرشاد أو إزالة المثالب وجوانب النقص وتصحيح العوجاجات. وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين:4-5] قال البغوي: أي: أَعَدَلِ قَامَةً وَأَحْسَنَ صُورَةً، وَذَلِكَ أَنَّهُ خَلَقَ كُلَّ حَيَوَانٍ مُنْكَبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ إِلَّا الْإِنْسَانَ خَلَقَهُ مَدِيدَ الْقَامَةِ، يَتَنَاوَلُ مَأْكُولَهُ بِيَدِهِ، مُزَيَّنًا بِالْعَقْلِ وَالتَّمْيِيزِ (بن الفراء البغوي، 1420:472) وأما رده إلى أسفل سافلين، فهو رده إلى أزدل العمر (الرازي، 1420:212) يقول الإمام سعيد النورسي رحمه الله: نعم أيها الإنسان! إنك من جهة جسمك النباتي ونفسك الحيوانية جزء صغير حقير فقير ضعيف، تخوض في الأمواج الهادرة لهذه الموجودات المتزاحمة المدهشة. إلا أنك من حيث إنسانيتك المتكاملة بالتربية الإسلامية المنورة بنور الإيمان المتضمن لضياء المحبة الإلهية سلطان في هذه العبودية. ولك المقام السامي مع حقارتك حتى يمكنك القول: إن الله عز وجل قد أسجد لي الملائكة وجعل لي الدنيا مسكنًا وجعل الشمس والقمر سراجًا ونورًا لي، والحيوانات مسخرة لي والنباتات زينة وبهجة لداري، وخالصة القول: إنك إذا ألقيت السمع إلى النفس والشيطان فستسقط إلى أسفل سافلين، وإذا أصغيت إلى الحق والقرآن، فسترتقي إلى أعلى علبين وكنت في أحسن تقويم في هذا الكون (النورسي، 2018: 317) وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: 161] أي مستقيماً (أبو الحسن، 1990:310) وفي سورة الكهف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قِيَمًا﴾ [الكهف: 1-2]، أي عدلاً. وفي الحديث: «مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ قِيَمَتُهُمْ امْرَأَةٌ». (أبو محمد الحسين، 1420:141) أي سائسة أمرهم القائمة به.

مفهوم التقويم اصطلاحاً:

عمل تربوي يتضمن الوسيلة والجوهر والهدف، بل هو وسيلة لضمان جودة التعليم من خلال الأهداف التي تنشدها التربية ويتوخاها المنهج. (شاكور محمود، 2004:11) يتطلب نشاط الإنسان في هذه الحياة تقييمه وتقويمه لمعرفة ما تم تحقيقه من الأهداف وتحديد نواحي القوة والضعف والقصور والنواحي الإيجابية والسلبية

لتحسين وتطوير نمط حياته. بمعنى آخر، يجب تقييم الإنسان وإدراك مدى تحقيقه لأهدافه، ثم تخضعه لعملية تقويم لتحديد جوانب التطوير والتحسين، وذلك لتغيير نمط حياته للأفضل.

التقويم والتقييم:

التقويم (Rectification) في أصله اللغوي يعني إزالة الاعوجاج وتحقيق الاستقامة في الشيء المراد تقويمه، ومن الجملة الشائعة في مجال التعليم أن عملية التقويم تهدف إلى تقييم الطالب وقياس مدى تحقيقه للأهداف التعليمية. ومن الضروري استخدام كلمة التقويم بدلاً من التقييم (Assessment)، لأن التقويم يعني أيضاً تعديل أو تصحيح ما اعوج منه، وهذا الأمر يتطلب إجراءات منظمة وإدارة متعمقة لتحقيق الهدف المرجو من عملية التقويم. وعلى الرغم من أن التقييم هو جزء من التقويم، إلا أن التقويم يشمل مفاهيم أشمل وأوسع، بما في ذلك تحديد الأهداف، وإجراءات التقييم، والتعديل والتصحيح اللازمين لتحقيق الهدف المنشود. (السيد علي، 2000:233) فأيهما الهدف الذي نسعى لتحقيقه التقييم أم التقويم؟ لا شك أن التقييم ليس هو الهدف المنشود، وإنما هو التقويم لأن به يزول الخطل والاعوجاج ويتم به التصحيح والتحسين والإصلاح، يقول: إن التقييم يجب ألا يكون هدفاً في حد ذاته، بل يكون وسيلة للتقويم. (زهران، 2001:508) وهذا ما أرشدنا القرآن إلى فعله، وفي أنفسكم أفلا تبصرون، ثم أخبرنا أنه قد أفلح من زكاهما.

التقويم التربوي:

يمثل التقويم عملية منظمة تستند إلى القياس، حيث يستخدم لإصدار حكم على شيء ما بناء على الخصائص التي تخضع للقياس. وفي مجال التربية، يستند التقويم على تقدير وفهم مدى تحقيق الطالب للأهداف التعليمية ويتخذ بعدها القرارات المناسبة. بالإضافة إلى ذلك، يعمل التقويم على تحديد التغيرات الملحوظة في سلوك المتعلم وتحديد درجتها ومقدارها

يعتبر المربي الناجح هو الذي يطبق التقييم والتقويم على طلابه لتحسين مستوياتهم الفكرية والسلوكية والروحية. ولا يمكن لأي شخص أن ينجح في تقييم الطلاب بشكل فعال سوى المربي الذي يقوم بدور متعهد وملتزم تجاه طلابه. فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان يقوم بتقييم ومقاييس الأخطاء لأصحابه، حيث كان يعرف خصائص شخصياتهم وصفاتها بشكل جيد. ورد في البخاري بسنده عن عَن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَن أَبِيهِ، عَن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلقَّبُ جِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأَتَى بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجَلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ». فهذا الرجل الذي لعن شارب الخمر، لم يكن يعلم محاسنه وإيجابياته، لأنه لم يكن يخالطه ولا يقاربه، لكنه هو النبي الكريم ﷺ هو من عرف ذلك، ولهذا نهى الآخرين عن لعنه.

التقويم الذاتي: (Self-Evaluation)

هي عملية لدراسة الذات وتقويمها بشكل دوري ومنهجي بهدف تحسين السلوك والأداء الفردي، وتشمل التقنيات التي تستخدم في التقويم الذاتي مراجعة الذات والتحليل الذاتي والتقييم الذاتي، وتعتمد على استخدام أدوات مختلفة مثل الاستبيانات والمقابلات الذاتية والمراجعة الذاتية. ويعد التقويم الذاتي أداة مهمة في تطوير

الآتي:

1. تطوير الذات وتحسين الأداء الذاتي.

2. ويساعد الفرد في التعرف على نفسه بشكل أفضل وفهم نقاط القوة والضعف لديه.
3. ويمكن أن يساعد التقويم الذاتي في تحديد الأهداف الشخصية وتطوير الخطط الشخصية لتحقيقها.
4. كما يمكن استخدامه لتحسين المهارات الشخصية والاجتماعية والمهنية، وتعزيز الثقة بالنفس والاعتمادية.
5. ويمكن تطبيق التقويم الذاتي في مجالات مختلفة مثل التعليم والعمل والصحة النفسية.
6. ويمكن أن يستفيد منه الأفراد بمختلف الأعمار والخلفيات الاجتماعية والثقافية.
7. ويساعد التقويم الذاتي في تطوير القدرة على التحليل والتفكير النقدي، وتعزيز الوعي بالذات والتنمية الشخصية من أجل الحصول على دافعية تؤهله ليعتمد على نفسه في قياس إنجازاته مستفيداً في ذلك من مواهبه ليرضى عن أدائه.

الخطوات المنهجية القرآنية في تقويم الذات عند الشيخ النورسي:

إن تقويم الذات بشكل منهجي وسليم يعتبر طريقاً لبناء مستقبل مشرق على أسس سليمة، كما أنه يساعد على معرفة النفس وتقديرها واحترامها وحماها. ومن الأخطاء الشائعة التي يقع فيها البعض، هي عدم تقدير الذات نتيجة لعدم تحقيق الإنجازات (Performance) المطلوبة، ولكن ينبغي على الشخص أن يتذكر أنه مخلوق مكرم، خلقه الله بيديه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: 70]. ومن الضروري دراسة الأسباب التي أدت إلى الفشل لتجنبها في المستقبل وتحويلها إلى خبرة جديدة ومهارة يمكن استثمارها لبناء مستقبل أفضل. وهذا النمط الإيجابي للتقويم الذاتي، يتم الاستفادة من الأخطاء وتحويلها إلى محفز للنجاح فيما بعد، تماماً كما فعل الله عز وجل مع الصحابة الكرام بعد غزوة أحد، حيث أوصاهم بعدم اليأس وعدم الحزن، وأن يكونوا متفائلين بالمستقبل. قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139].

الخطوة الأولى:

الدعوة إلى احترام الذات وتقديرها لأن صاحبها مخلوق مكرم خلقه الله بيديه لا يجوز لأحد أن يمارس الإهانة في حقه: يقول الإمام النورسي رحمه الله فيما معناه: من أراد أن يحترم ذاته فعليه احترام الحقائق ومعرفة قيمتها، فمن يقدر الحقائق فهو ذو قيمة، ويمتلك الجوهر الفريد برزاقته. أما أعداء الإيمان والمنافقين فنفاقهم لهم ثلاث خواص، منها: ذلة النفس، وميل الإفساد، والغرور بتحقيق الغير. (النورسي، 2010:110)

يركز القرآن في تكريم الإنسان على أساس أنه مخلوق بشري، وليس على أساس مواصفات جسدية معينة تستحق التقدير والاحترام. وقد أشار الله سبحانه وتعالى في القرآن إلى تكريم الإنسان بشكل عام، قائلاً: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: 70]. ومع ذلك، يوجد فرق كبير في التكريم الذي يحصل عليه الإنسان بمجرد كونه إنساناً، وبين الذي يحصل عليه من خلال خدمته للبيئة التي يعيش فيها، وجهوده في تطوير نفسه ليسعد الآخرين ويقوم بدور فاعل في المجتمع. ومن هذا التكريم الخاص، علاقته القوية مع ربه ووالديه وأسرته والمجتمع الذي يعيش فيه. يقول الإمام النورسي رحمه الله: خلق الله الإنسان كنوع جامع لكثير من الأنواع، فهو سبحانه لم يحدد قواه ورغباته بحدود وقيود فطرية، بل جعلها حرة طليقة، بينما حدد قوى سائر الحيوانات ورغباتها، فهو تحت قيود فطرية. وعليه فإن استعدادات الإنسان وقواه لا نهاية لها. ويضرب الإمام النورسي مثلاً على ذلك فيقول: لو أعطي الإنسان الدنيا

برمتها لطلب المزيد بحرصه. فهو إنسان مكرم وفي نفس الوقت هو مخلوق ظلوم جهول، فهو رحمه الله يوفق بين الآيتين الكريمتين: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72].

واختلف المفسرون في مواصفات التكريم العام للإنسان فمنهم من قال: أنه تعالى جَعَلَ رِزْقَهُمْ أَطْيَبَ مِنْ رِزْقِ الدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ وَالْحَيَّةِ، فهم يأكلون الخبز والعسل والسمن (أبي ثعلبة، 2004:150) وأما الحيوانات فتأكل العظام والعشب والميتة وغير ذلك. وقال الشافعي أن الله كرم بني آدم حيث جعل منهم النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين، (الشافعي، 2006:1043) ولم يكن كذلك من غير البشر. ثم أخبرنا الطبري بنوع آخر من التكريم وهو أن الله سلطهم على غيرهم من الخلق وتسخير سائر الخلق لهم، حيث ركبوا ظهور الدواب والمراكب في البحار لنصل بذلك إلى حوائجنا التي جعلت لنا في البلدان النائية والأمكنة البعيدة. (الماتريدي، 2005:82) ورزقهم من الحلال الطيب وما لذ وطاب ومكهم من الأكل باليدين ورفع الطعام إلى الأفواه وذلك متعسر لغيرهم من الخلق. (الطبري، 2000:501) وزاد السمرقندي بقوله: أكرمهم بالنطق (النيسابوري، 2002:114) وبالعقل والتمييز، وزاد الماوردي: كرمناهم بالأمر والنهي. وأما ما قاله الرازي في مسألة التكريم الإنساني فسوف أخصه بما يلي:

المُرَاد مِنَ الْكِرَامَةِ حُسْنَ الصُّورَةِ وَمَزِيدَ الذِّكَاةِ وَالْقُدْرَةَ عَلَى الْأَعْمَالِ الْعَجِيبَةِ وَالْمُبَالَغَةَ فِي النَّظَافَةِ وَالطَّهَارَةِ (الرازي، 1420:437) ثم قال: إِنَّ الْإِنْسَانَ جَوْهَرٌ مُرَكَّبٌ مِنَ النَّفْسِ، وَالْبَدَنِ، فَالنَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ أَشْرَفُ النَّفْسِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ، وَبَدَنُهُ أَشْرَفُ الْأَجْسَامِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ. وَتَقْرِيرُ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ هِيَ أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ فُؤَاهَا الْأَصْلِيَّةُ ثَلَاثٌ: وَهِيَ الْإِغْتِنَاءُ وَالنُّمُوُّ وَالتَّوَلِيدُ. وَالنَّفْسُ الْحَيَوَانِيَّةُ لَهَا فُؤَاتَانِ الْحَسَّاسَةُ سَوَاءٌ كَانَتْ ظَاهِرَةً أَوْ بَاطِنَةً، وَالْحَرَكَةُ بِالِاخْتِيَارِ، فَهَذِهِ الْقُوَى الْخَمْسَةُ أُغْنِي الْإِغْتِنَاءُ وَالنُّمُوُّ وَالتَّوَلِيدُ وَالْحَرَكَةُ حَاصِلَةٌ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ. ثُمَّ إِنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ مُخْتَصَّةٌ بِقُوَّةٍ أُخْرَى وَهِيَ الْقُوَّةُ الْعَاقِلَةُ الْمُدْرِكَةُ لِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ كَمَا هِيَ. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ظَهَرَ أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ أَشْرَفُ النَّفْسِ الْمَوْجُودَةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ. ومن التكريم الإلهي للإنسان أنه يعبر عن أمه ولذته بشكل تام، لكن جُمْلَةَ الْحَيَوَانَاتِ سِوَى الْإِنْسَانِ، فَإِنَّهُ إِذَا حَصَلَ فِي بَاطِنِهَا أَلَمٌ أَوْ لَذَّةٌ فَإِنَّهَا تَعْجُزُ عَنِ تَعْرِيفِ غَيْرِهَا تِلْكَ الْأَحْوَالِ تَعْرِيفًا تَامًا وَاقِيًا. ثم زاد على ذلك التكريم بقوله: طُولُ الْقَامَةِ مَعَ اسْتِكْمَالِ الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْقُوَى الْجِسْمِيَّةِ وَالْحَرَكِيَّةِ. وزاد على قوله ذلك بأن التكريم حصل للإنسان من خلال بَيَانِ بَحْسَنِ الصُّورَةِ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَتَكُمْ﴾ [غافر: 64] لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى خَلْقَهُ الْإِنْسَانَ قَالَ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14]، وزاد من كرم الله عليه بأن علمه الخطأ. (الرازي، 1420:437)

زاد صاحب كتاب "لطائف الإشارات"، القشيري، من مدى التمجيل والإجلال للإنسان بمعانٍ تكريمية معنوية جديدة. وأشار إلى أن الله تعالى أكرم الإنسان بقوله: ﴿كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، ولم يذكر المؤمنين، أو العابدين، أو أصحاب الاجتهاد، لأن التكريم ليس مقابلاً لفعل، ولا يعتمد على علة، ولا يكون مسبباً للاستحقاق. بل يتمثل التكريم في أن الإنسان يستطيع الوقوف مع الله على بساط المناجاة، وأنه عندما يريد أن يتحدث مع الله يتحدث، وإذا رغب في السؤال عن شيء يسأل. وأنه إذا تاب ثم نقض توبته، ثم تاب مرة أخرى يقبل الله توبته، ولو ارتكب الخطيئة مراراً وتاب كل مرة يضاعف الله قبول توبته وعفوه. وأنه يحرص على تزيين ظاهرهم بالتوفيق والجهد، وتحسين باطنهم بالمشاهدة والتحقيق. وأن من تكريم الله للإنسان أنه وجه له دعوة بالذکر في قوله: ﴿فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152]، ولم يقل ذلك للملائكة أو الجن. (القشيري، 2000:360)

تكريم خاص لأمة محمد ﷺ: ومن التكريمات الخاصة بأمة محمد ﷺ، أنه قال سبحانه وتعالى عنهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54] وقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: 119]، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 110]، وغيرها وغيرها. فمسألة التكريم الحقيقية متعلقة بمدى انسجام الإنسان مع الأخلاق العظيمة والسلوكيات والعطاءات المفيدة للنفس والوالدين، والأسرة، والمجتمع، والأمة.

الخطوة الثانية: الدعوة إلى الالتزام بالقانون الكلي الناتج عن الشريعة: يرى الإمام الكبير العلامة النورسي أن الإنسان صاحب مزاج راق ممتاز لطيف عجيب وقواه غير محدودة، وأنه خُلِقَ ممتازاً أي متميزاً صاحب خواص فريدة ومستثنى من جميع الحيوانات بمزاج لطيف عجيب، أنتج ذلك المزاج فيه ميل الانتخاب وميل الأحسن وميل الزينة، ولأجل كل تلك الميولات احتاج إلى تلطيف الحاجات الخاصة في مأكله وملابسه ومسكنه، واحتاج إتقان تلك الحاجات إلى أن يمتزج مع أبناء جنسه من البشر من خلال تعاون كريم يتم فيه تبادل الخبرات وتبادل الثمرات الناتجة عن سعيهم المشترك بينهم. وزيادة في تكريم هذا الإنسان أن الله تعالى رزقه بقوى غريبة غير محددة، فقواه الشهوانية والعقلانية والغضبية مفتوحة غير محدودة بحدود فطرية، على عكس الحيوانات الأخرى، فقد خلقها بقوى محدودة. ولأجل أن ينتظم سلك الحياة لا بد للإنسان أن يسير وفق منهج العدالة، ولن يطبق هذا المنهج بشكل مرضٍ إلا بعقل كلي يستفيد منه عقل العموم. وتسمية الإمام النورسي للعقل الكلي بهذا الاسم وكان غرضه من هذه التسمية أن يطبق القانون الكلي والقانون الكلي عنده هي: الشريعة (النورسي، 2010:148) ومفهوم المخالفة مما قاله العلامة النورسي: إن الإنسان بدون هذه الشريعة وقانونها هو مجرد حيوان طاغٍ غير قادر على السيطرة على قواه الهيمنة والشهوانية والغضبية، الأمر الذي يؤدي إلى الاعتداء على حقوق غيره فيتحول بعدها إلى طاغوت. يقول الإمام النورسي رحمه الله: إن الخالق العظيم قد مزج الأضداد ببعضها وجعل يقابل كل منها الآخر، وأعطى كلاً منها صفة التمداد والتجاوز، فأوجد بذلك مبارزة حكيمة ذات منافع، بما أوجد من الاختلافات والتغيرات الناشئة من تجاوز تلك الأضداد حدود بعضها البعض الآخر. فاقترضت حكمة الله العظمى أن يسير هذا الكون ضمن دستور السمو والكمال وحسب قانون التغير والتحول، لذا جعل الإنسان وهو الثمرة الجامعة لشجرة الخليقة يتبع ذلك القانون، أي قانون التمداد والمبارزة اتباعاً شديداً الغرابة. (النورسي، 2020:120)

الخطوة الثالثة:

الاعتراف بالضعف طريق القوة: من أهم مفاهيم فلسفة الإمام النورسي في تقويم الذات: "الاعتراف بالضعف طريق القوة". حيث يرى الفيلسوف العبقري النورسي أن الاعتراف بالضعف والتقبل الصادق للعجز والنقص في الذات هو بداية الطريق نحو القوة الحقيقية. وبعد هذا المفهوم جزءاً من الفكر الإسلامي الأصيل الذي يعلمنا أن الإنسان مخلوق ضعيف، لا يملك قوة مطلقة، وأن القوة الحقيقية تأتي من الله. وبمجرد الاعتراف بذلك، يمكن للإنسان أن يحصل على القوة التي يحتاجها لمواجهة تحديات الحياة. كما يرى الإمام النورسي أن الاعتراف بالضعف يساعد الإنسان على تحقيق الصفاء في الذهن، والتحرر من الغرور والتعالي، ويساعد على التواصل والانكسار أمام الله. ومن خلال هذا الانكسار، يمكن للإنسان أن يحصل على الإرشاد الإلهي والقوة الحقيقية التي يحتاجها. وبما أن الإنسان لا يملك قوة مطلقة، فإن النورسي يعتبر أن الإنسان يحتاج إلى العمل بجهدٍ شديدٍ لتحقيق أهدافه. ولكن هذا الجهد لن يكون مجدداً إذا لم يكن لديه القوة الحقيقية التي يحتاجها. وبالتالي، فإن طريق الحصول على تلك القوة هو الاعتراف بالضعف الذاتي، وهذه من أهم وسائل التقويم الذاتي

الصحيح. لكنه وهو يدعو إلى الاعتراف بالضعف ينادى على المرضى ويقول لكل مريض: لا تتأوه أبداً ولا تئن ناظراً إلى صورة المرض القبيحة المذمومة، بل انظر إلى معناه وفحواه وانبسط قائلاً: الحمد لله (النورسي، 2020:120)

أنواع تقدير الذات: يرى سول ماكلود أن هناك نوعان من تقدير الذات هما:

تقدير الذات المرتفع:

تتمتع الإيجابية في نظرنا لأنفسنا، والشخص الذي يتمتع بتقدير ذاتٍ إيجابي يميل إلى الثقة بقدراته الفريدة وقبول نفسه، وعدم الاهتمام بما يفكره الآخرون عنه، بالإضافة إلى التفاؤل والتوقعات الإيجابية تجاه نفسه ومستقبله. ويحذر القرآن الكريم من الإفراط في الإعجاب بالنفس والشكل والصورة والعمل، سواء كان ذلك العمل دينياً أو دنيوياً، على المستوى الفردي والجماعي. فعلى المستوى الفردي قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 37] وقال تعالى على لسان لقمان في وصيته لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18]. وأما التحذير من العجب الزائد في النفس على المستوى الجماعي فقال جاءت الآيات بشكل صريح في معركة حنين لما أصاب المؤمنين الغرور بكثرتهم، فقال سبحانه يصف ذلك المشهد بقوله: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ [التوبة: 25].

تقدير الذات المتدني:

ينبع تقديرنا المنخفض لأنفسنا من نظرنا السلبية لذواتنا، ويميل صاحب هذا التقدير إلى ضعف الثقة بالنفس والحاجة إلى الاعتماد على شخص آخر، كما يعاني من التصور الخاطئ دائماً بشأن تقييم الآخرين له، والتشاؤم بشأن المستقبل وما يحمله من تحديات وصعوبات. والقرآن الكريم طلب منا أن نحذر من أنفسنا هذه باعتبارها عدواً وظيفته تغيير الحماسة إلى الانتكاسة، قال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ آخِرُ حَرْصٍ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَنْ، فَإِنَّ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ» هذه العبارات القوية في هذا الحديث تخلق نفساً لا تعرف العجز. والأمر الأهم فيها عدم الالتفات إلى الماضي والعيش فيه، فهذا ما يريده الشيطان.

الخطوة الرابعة: مخالفة الهوى بالمجاهدة: يقول الإمام النورسي رحمه الله: إن هناك استعدادات فطرية كامنة في ماهية الإنسان من المراتب والدرجات ما هو فوق الخيال، وقد تصل إلى المراتب الموجودة بين الذرة والشمس، ولكي تظهر هذه الاستعدادات وتنبسط لا بد لها من حركة، ولا بد لها من تفاعل وتعامل. فحركة لولب الرقي ونابض السمو في ذلك التعامل ب "المجاهدة". ولا تحصل هذه المجاهدة إلا بوجود الشياطين التي تزين للإنسان هواه، ولولا تلك المجاهدة لظلت مرتبة الإنسان ثابتة كالملائكة (النورسي، 2020:110) وفي تعليقه على قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ [الفرقان: 43]، يقول الإمام النورسي: هناك من يحاول بشكل دائم من يحبب نفسه للآخرين، وهو في سعي متواصل لإثارة إعجابهم به، وإزالة القصور عن نفسه، ويقف موقف المحامي المخلص حتى يبرئ ساحتها من كل نقص ويمدحها بمبالغات، بل بأكاذيب لينزهها عن كل عيب وقصور حتى يقربها إلى التقديس، بل يبلغ به الأمر أن يكون مصداق الآية الكريمة. نتيجة لكل هذا تتوالى عليه صفعات هذه الآية الكريمة -حسب درجته- فينقلب مدحه إلى إعراض الناس عنه، فيكون مغلوباً على أمره أمام شهواته وهواه ومشاعره، بل قد تبرر له أهواؤه الضالة أموراً يرتكبها لأجل متعة لا تدوم ساعة. (النورسي، 2020:445)

كثير من الناس يحسن تقويم أداء الآخرين، ويضع لهم منهجاً شاملاً لتقويمهم، لكن عندما يصل الإنسان إلى نفسه يجده يضع لنفسه معايير مختلفة عن المعايير التي حكم بها أداء الآخرين، فمن فعل ذلك فقد عمل على تقويض ذاته وبخسها. يقول الإمام النورسي معلقاً على قوله تعالى: ﴿وَلَسَلِيمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ﴾ [سبأ: 12] هذه الآية تبين معجزة من معجزات سيدنا سليمان عليه السلام، وهي ملخصة في تسخير الله عز وجل الريح له، بمعنى أنه بإمكانه أن يقطع في الهواء ما يقطع في شهرين في يوم واحد: فكأن الله سبحانه وتعالى، يقول في معنى هذه الآية: إن عبداً من عبادي ترك هوى نفسه، فحملته فوق متون الهواء، وأنت أيها الإنسان! إن نبذت كسل النفس وتركته، واستفدت جيداً من قوانين سنني الجارية في الكون، يمكنك أيضاً أن تمتطي صهوة الهواء. (النورسي، 2018:270)

وبعيداً عن المجاهدة مع النفس نجد امرأة مثل زوجة العزيز تنساق وراء نفسها فكانت النتيجة، الإذلال الكامل، فقد أذلها شهوتها ولم تتمالك أمام عبدها العزب الأسير الجميل، وذلك حين دعت له لممارسة الفاحشة معها رغم مكانتها ومكانة زوجها الرفيعة في مجتمعها، إذ كانت من النساء الأكابر وكان هو من حكام مصر. لكن يوسف عليه السلام أعف نفسه وصبر على نداء الشهوة وجاهد نفسه جهاد الأبطال، رغم شبابية قلبه. فحين دعت امرأة العزيز لاقتراف الفاحشة رفض بكل قوة. يقول الإمام النورسي رحمه الله: إن النفس والشيطان صارا وكيلين فضوليين لأنواع أهل الضلالات (النورسي، 2011:64)

من جهة أخرى، يقول ابن تيمية مثبتاً كيف كان يوسف من أصحاب النفوس الزكية، وممن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى: ثُمَّ إِنَّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ شَابًّا عَزَبًا أَسِيرًا فِي بِلَادِ الْعَدُوِّ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَقَارِبَ أَوْ أَصْدِقَاءَ فَيَسْتَجِي مِنْهُمْ إِذَا فَعَلَ فَاحِشَةً فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَمْنَعُهُ مِنْ مُوَاقَعَةِ الْقَبَائِحِ حَيَاؤُهُ مِمَّنْ يَعْرِفُهُ فَإِذَا تَغَرَّبَ فَعَلَ مَا يَشْتَهِيهِ. وَكَانَ أَيْضًا خَالِيًا لَا يَخَافُ مَخْلُوقًا فَحُكْمُ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ - لَوْ كَانَتْ نَفْسُهُ كَذَلِكَ - أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُعْتَرِضَ لَهَا؛ بَلْ يَكُونُ هُوَ الْمُتَحَيَّلَ عَلَيْهَا كَمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةٌ كَثِيرٍ مِمَّنْ لَهُ عَرَضٌ فِي نِسَاءِ الْأَكَابِرِ إِنْ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الدَّعْوَةِ ابْتِدَاءً. فَأَمَّا إِذَا دُعِيَ وَلَوْ كَانَتْ الدَّاعِيَةُ خَدَامَةً لَكَانَ أَسْرَعُ مُجِيبٍ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ الدَّاعِيَةُ سَيِّدَتَهُ الْحَاكِمَةَ عَلَيْهِ الَّتِي يَخَافُ الضَّرَرَ بِمُخَالَفَتِهَا. ثُمَّ إِنَّ زَوْجَهَا الَّذِي عَادَتُهُ أَنْ يَزُجِرَ الْمَرْأَةَ لَمْ يُعَاقِبْهَا؛ بَلْ أَمَرَ يَوْسُفَ بِالْإِعْرَاضِ كَمَا يَنْعَرُ الدِّيُوثُ ثُمَّ إِنَّهَا اسْتَعَانَتْ بِالنِّسَاءِ وَحَبَسَتْهُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَالْأَتْرَافُ تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنُّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: 33]. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

منهجه في تقويم نفسه الزكية رحمه الله:

يقول رحمه الله: هناك خمس فقرات أسكتت نفس سعيد رحمه الله وأكرمه وجعل مثواه جنة الفردوس

في عليين:

الفقرة الأولى: الأشياء موجودة وهي متقنة الصنع، وهذا يعني أن هناك موجدًا لها، ولا ريب أن ذلك الموجد والصانع لن يترك ذوي الحياة ليفسدوا أمورها وشؤونها، ولن يسلمها إلى أيدٍ أخرى فتجعل أفعاله الحكيمة عبثًا.

الفقرة الثانية: نبى نفسه عن الغرور، وطالها بأن تتفكر في شجرة العنب، فالعناقيد لم تعلقها شجرة العنب، بل علقها غيرها عليها.

الفقرة الثالثة: طالب نفسه التخلص من الغرور بالدين والعجب والرياء، وأنها ليست مزكاة، وأن كل ما فعلته من أجل الدين هو شكر للنعم السابقة، ووظيفة فطرية، وفريضة خلقية، ونتيجة للصنعة.

الفقرة الرابعة: طالب نفسه بمعرفة الله سبحانه وتعالى، ذلك أن جميع الموجودات هي مجرد شعاعات لأسماء الله الحسنى، ومجرد تظاهرات لصفاته. فحقيقة كل شيء سواء أكان مادياً أو معنوياً أو جوهرياً أو عرضياً، وحقيقة كل إنسان إنما تعتمد على نور اسم من أسماء الله الحسنى، وتستند إلى حقيقته. وعليه فيا أيها النفس ارتق في درجات حياة القلب والروح والسر لأن دائرتهم واسعة شاسعة.

الفقرة الخامسة: هي فقرة تفكيرية في ذكر "الله أكبر". (النورسي، 2011:110)

نتائج البحث:

توصل الباحثان إلى ثلة من النتائج، منها:

1. أثبت البحث أن التقويم الذاتي هو منهج رباني يفيد الذات نفسها، ويقوم أداءها لترتفع مكانتها عند الخلق والخالق ويشعر صاحبه بالرضا.
2. إن التقويم الذاتي في نظر العلامة النورسي يقوم على استقراء لبيانات صادقة عن الذات، كاشفاً باختصار عن مواطن الضعف والقوة، وخير ما يزودنا بهذه البيانات عن النفس الإنسانية هو القرآن الكريم.
3. أثبت البحث أن الإنسان في نظر الإمام النورسي هو مجرد طفل صغير ضعيف محبوب، ولكنه يحمل في ضعفه قوة كبيرة، ويحمل في عجزه قدرة عظيمة، لأنه بقوة ذلك الضعف وقدرة ذلك العجز سُجِّرت له هذه الموجودات وانقادت له.
4. يوجد عدد كبير من الموانع التي تمنع الإنسان من تقويم نفسه بشكل إيجابي، ومن بين هذه الموانع التي ذُكرت في القرآن: اليأس والإحباط والقنوط من رحمة الله، والتخلق بأخلاق الجاحدين وتقليدهم في عدم الإيمان بالحقائق الإيمانية الكلية و"جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم" [النمل: 14].
5. إن شخصية الإمام العلامة بديع الزمان سعيد النورسي شخصية قوامها: الصدق والشفافية والثقة والعلم والفهم، ولهذا قبل أن يطالب الآخرين بتقويم ذواتهم قام هو نفسه بتقويم ذاته من خلال فقرات خمس.

المراجع

1. حمدي شاکر محمود، التقويم التربوي للمعلمين والمعلمات، (حائل – المملكة العربية السعودية: دار الأندلس، ط1، 1425هـ/2004م) ص15.
2. انظر: بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط3، 1421هـ/2000م)، ص828-829.
3. أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ) ج8، ص472.
4. أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: 215هـ)، معاني القرآن للأخفش، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1411هـ/1990م) ج1، ص318.
5. أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ) ج5، ص141.
6. محمّد السيد على، علم المناهج- الأسس والتنظيمات، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط2، 2000م) ص233.
7. حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، 2001، (د.م: عالم الكتب، ط3، د.ت) ص509.
8. علياء يحي العسالي، القياس والتقويم التربوي، اسم الموقع: <http://www.tarbya.net>
9. انظر: بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الاعجاز،
10. يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التبيي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: 200هـ)، تفسير يحيى بن سلام، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ/2004م) ج1، ص150.
11. الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ)، تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرّان (رسالة دكتوراه)، (المملكة العربية السعودية، الدار التدمرية، ط1، 1427هـ/2006م) ج2، ص1043.
12. محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي ياسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1426هـ/2005م) ج7، ص82.
13. أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ/2002م) ج6، ص114.

14. انظر: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ)، تفسير السمرقندي، (د.م: دن، د.ط، د.ت) ج2، ص321.
15. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، تفسير الماوردي = النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت) ج3، ص257.
16. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، د.ت) ج2، ص360.
17. بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر للنشر، ط3، 1422هـ/2001م) ص124.
18. بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، ترجمة: مركز الترجمة والبحوث العلمية، (القاهرة: دار السنابل الذهبية، ط1، 1429هـ/2009م) ص64.
19. بديع الزمان سعيد النورسي، الطلاسم، ترجمة: مركز الترجمة والبحوث العلمية، (القاهرة: دار السنابل الذهبية، ط1، 1432هـ/2011م) ص109-110.